﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾ [الحديد: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

ذمُّ البخلِ والأمرِ بِهِ

لَمّا خُتِمَت الآيةُ السّابقةُ بذَمِّ المُختال الفخور، وكانَ مِن أوصافِ هذا المكاثِرِ بالمالِ البُخْلُ، وقد سبَقَ التَّرغيبُ في الإنفاق، وكانَ باعِثُ البخلِ في الغالب لذَّةَ الفَخار، والاختيالَ بِما أوصل إليه المال، وخوف الإقتار الموجب عندَ أهل الدُّنيا للمهانة والصَّغار؛ جاء قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾؛ إذ أرادوا أن يتَّخذوا لَهُم أعوانًا على أفْعالِهِم الخَبيثَةِ، فَيُحامون عَنْهُم، أو لأنَّ ما جَنَوْهُ مِن تكبُّر وبَطَرٍ بِما جَمَعوا مِنَ الأموال التي حَصَّلوها بِبُخْلِهم كان سببًا في استدراجِ غيرِهِم إلى البُخل، فيبخل؛ ليكثُرَ مالُه، ويَعْظُم، فصاروا آمِرينَ بالبُخْل[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَبۡخَلُونَ﴾: فعلٌ مضارع مسنَدٌ إلى جماعة الذُّكور، دالٌّ على الحال والاستقبال، وجذره اللُّغويُّ: (بخل)، ومِنْهُ البخلُ، وهو معروفٌ، ورجل بخيلٌ وبخّال؛ إذا وُصِف بالبخل، وحقيقةُ البخل: "إمساك المُقْتَنيات عمّا لا يحقُّ حَبْسُها عنه، ويقابله: الجود"[2]، والبخل قد يكون تارةً بما يملِكُه الإنسانُ نفسُه، وهو مذمومٌ، وقد يكون بما يَمْلِكُه غيره، وهو أشدُّ ذمًّا، وأشدُّ من ذلك كلِّه مَن يَجْمَعُ بين الأمرين، فيبخَلُ بماله ومال غيرِهِ معًا، والبخلُ: ما كان نقيضَ الكرَمِ بأن يُمْسِكَ المَرْءُ ما يتطلَّب، ويُمْكِنُ إخراجُه، فلا يُرْسِلُه،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 297 - 298.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (بخل).

وليس في القرآن العظيم من معاني البُخْلِ إلّا هذا المعنى[1]، ومعنى ﴿يَبْخَلُونَ﴾ في الآية أنَّهم أمْسَكوا "ما أنعم اللّهُ عليهم من الأموال، أو ما بيَّن لَهُم من صفات الرَّسول عليه أفضل الصَّلوات، أو ما أُمِروا به من العباداتِ"[2].

2) ﴿يَتَوَلَّ﴾: فعلٌ مضارعٌ دالٌّ على الحال والاستقبال، وهو على زنة (يَتَفَعَّل)، وجذره اللُّغويُّ: (ولي)، ومنهُ: المَوْلى، وهو الحليفُ، وإذا ولّى الرَّجلُ؛ فقَدْ أدْبَر، ومنه: التَّوليةُ، وهي الانصرافُ عَن الأمرِ، "وتولَّى عنه، أي: أعرض، وولّى هاربًا، أي: أدبرَ"[3]، والأصل في الواو واللّام والألف: دِلالَتُه على القُرْب، وقد يكون بمعنى الإعراضِ والصُّدوف، وترك القُرْب، وقد يكون بالجِسْمِ، أو بالمعنى بتَرْكِ الائتمار والإصغاء، وتولّى بمعنى: ذهَبَ، ونَأى عنه[4]، ومعنى ﴿يَتَوَلَّ﴾ في الآية: يُعْرِض، ويتنكَّب عن الإنفاق في سبيلِ اللّه تعالى، أو يُعْرِض عن الإيمان، وما أمَرَ به مِن الطّاعة[5].

3) ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾: صيغَةُ مبالغَةٍ على زنة (فَعيل) حَصَل فيها إعلالٌ، والجذر اللُّغويُّ منها: (غنى)، والغِنى مِن صِفاتِ اللّهِ سبحانه، والغِنى يدلُّ على الكفايةِ، والغِنى في المالِ يُقال فيه: غَنيَ يَغنَى غِنًى، والغَناء - بفتح الغَيْنِ - مع المدِّ هو الاستغناءُ والكفايَةُ، فيقال: لا يُغني فلانٌ غَناء فلان، أي: لا يَكْفي كِفايتَهُ، ويُقال: غَنيَ القومُ في دارهم، أي: أقاموا فيها كأنَّهم قدِ استَغنَوا بِها، و"المعنى المحوريُّ: وجود الكفايةِ ممّا يَعْمُر الحيّز بطيبِهِ، ويُقيم أمرَه، كالمالِ في الحوزَةِ"[6]، ومعنى ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ في الآية الكريمة: المُستَغني بذاتِهِ عَنهُم[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذمٌّ للبُخلاءِ بأموالِهم، المُمْسكين عن الإنفاقِ في وُجوهِ البرِّ، المضيِّقين في أعْمالِهم الصّالحة مِن إيمانٍ، وسائر الطّاعات، ثُمَّ يزيدون على بُخْلِهِم أن يحثّوا النّاسَ على ما

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بخل).
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 3/ 182.
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (ولي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (ولى - ولي).
(5) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 409.
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غنى).
(7) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 152.

هُم عليه مِن شحٍّ وقَسْوَة، فيصدّون عن الخَيْرِ بقولهم وفِعْلِهم؛ وذلك غايةُ المَذَمَّة، وأقصى النَّقص، ومَن يقصر عَن أداء ما أوجب الله عليه، ويُعرض عن طاعته وتقواه، فإنَّ الله تَعالى مُستَغنٍ بذاته عن خَلْقِه أجمعين، الحميد المحمود بصِفاتِه وأفعالِه[1].

ذمُّ البخلِ والدَّعوةِ إليه، وغِنى اللهِ تَعالى الحميدِ عَن طاعةِ خَلْقِهِ وبَذْلِهم

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فَصْلِ هذه الآية عمّا قبلها:

فُصِلَ قولهُ سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ عمّا قبله؛ لوروده بيانًا وتفصيلًا لقولهِ تَعالى: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[2]، فكشَفَ عَن صورَةٍ مِن صوَرِ الاختيال والفخر، وهيَ البُخْلُ الممزوجُ بتزيينِه للنّاس.

بيانُ البُخلِ والأمرِ بهِ تفصيلًا لذمِّ المختالِ الفخور

ويجوزُ أن يكونَ قولهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾، بدلًا من قَوْلِه تَعالى: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾، فيكون قد فُصِل؛ للدَّلالةِ على أنَّ اللّهَ تَعالى لا يحبُّ المختالَ، ولا يحبُّ البخلاءَ الذين أطْغاهُم الفرحُ بمالِ الدُّنيا، فَبَخِلوا به، وأمَروا غيرَهُم بالبُخْل، فجاءت الآيةُ كاشفةً عَن ثمرَةِ ذلكَ الفَرَح المَذموم[3].

فرَحٌ بالدُّنيا أطْغى، فبُخْلٌ واختيالٌ أغْوَى

دلالَةُ التَّعبير بالاسمِ الموصولِ وصِلَتِه ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾:

عُبِّرَ بالمَوْصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معَ جُمْلَةِ الصِّلة ﴿يَبۡخَلُونَ﴾[4]، دون الاقتصارِ عَلى الاسم الجامِد: (البخلاء)؛ للإشارة إلى أنَّ الصِّلَةَ هي علَّةُ الحُكْم ومناطُ الذَّمِّ، فكأنَّ صفةَ البُخْلِ جرَّت عليهِم مقتَ الرَّبِّ، فصاروا مَبْغوضينَ معذَّبين بسَبَبِها.

بُخْلٌ جرَّ المَقْتَ، فأورثَ البُغْضَ والعذابَ والسَّخَطَ

دلالَةُ استِعمالِ الاسمِ المَوْصولِ جَمْعًا:

جيءَ بالاسمِ المَوْصولِ جَمْعًا في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾

تفصيلُ العُمومِ وإبرازُ صورَةِ البُخَلاءِ؛ لتتَّضِح شناعَةُ البُخْلِ

(1) العليمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن: 6/ 544.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 533.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 469.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 157.

بعد إفراده في ﴿مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾؛ لكونِ ذاك مندرجًا تحتَ العموم بدُخولِ ﴿كُلَّ﴾ عليه[1]، فناسَب أن يُفصِّل بذِكْرِ جماعَةٍ مخصوصَةٍ تُمَثِّل صورةً مِن صوَرِ ذلكَ العُموم.

سِرُّ التَّعْبير بالفِعْلِ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ دونَ يَضِنّون:

البُخْلُ أبلَغُ في الذَّمِّ

استُعمِل فِعْلُ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ دون (يضِنّون)؛ لأنَّ البُخْلَ أعمُّ وأشدُّ في الذَّمِّ؛ إذ يشمَلُ مَنْعَ المالِ والحقِّ والمعروفِ صغيرِهِ وكبيرِهِ، واجبِه ومندوبِه، بينَما الضَّنُّ أخَصُّ وأخفُّ دلالة، فهو مجرَّدُ حِرْصِ المَرْءِ على ما يَرى فيه نفعًا خاصًّا له؛ ولهذا تقولُ: هو ضَنينٌ بعِلْمِه، ولا يقال: بخيلٌ بعِلْمِه؛ لأنَّ العلمَ أشبَهُ بالعاريَّة[2] منهُ بالهِبَة، فالواهِبُ إذا وهَبَ شيئًا؛ خرَجَ مِن ملكِه، أمّا إذا أعارَ شيئًا؛ فإنَّه يظَلُّ ملكًا لَهُ، والتَّعبيرُ بالبُخْلِ هُنا مناسِبٌ لمَقامِ التَّقريع؛ إذْ إنَّ هؤلاء لا يكتَفون بمَنْعِ أنفُسِهم، بل يَتَعَدَّوْن إلى أمْرِ النّاسِ بالبُخْل، فيَكتُمونَ صفةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ونَعْتَه[3].

دلالة التَّعبير بالفِعْلِ المضارع ﴿يَبْخَلُونَ﴾:

بُخْلٌ متجدِّدٌ لا يَفْتُرُ

اختيرَت صيغةُ المُضارِعِ في ﴿يَبْخَلُونَ﴾؛ للإيماء إلى الاستمرار والتَّجدُّد[4]، فكأنَّ البُخْلَ سجيَّةٌ متكرِّرة فيهم لا تفارقهم أبدًا.

دلالةُ حَذْفِ متعلِّق الفِعْلِ ﴿يَبْخَلُونَ﴾:

تعدُّدُ مَظاهِرِ بُخْلِهِم وامتدادُ أثَرِهِ إلى كثيرٍ مِن أنواعِ الشُّحِّ

حُذِفَ متعلِّقُ فعلِ البُخْلِ؛ ليعمَّ كلَّ ما يُمْكِنُ أن يَبْخَلوا به، مِن رزقٍ حسّيٍّ أو معنويٍّ[5]، فقد يكون بخلُهُم بالعِلْم، أو بكتمانِ صفة النَّبيِّ ﷺ في التَّوراة، أو بحقِّ اللّه تَعالى في المال، أو بالصَّدقات، أو بما في يديهِ، أو بغير ذلك من ضُروبِ البُخْلِ والشُّحِّ[6].

(1) النسفي، التيسير في التفسير: 14/ 306.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 332.
(3) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 409.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 298.
(5) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 328.
(6) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 482.

دلالَةُ العَطْفِ في قولِهِ: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾:

خطورةُ البُخْلِ وخطورةُ الدَّعوة إليهِ

عُطِفَ قولُهُ: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ على قوله: ﴿يَبۡخَلُونَ﴾[1]؛ لأنَّ البخيلَ سُرْعانَ ما يتحوَّل إلى داعيةٍ إلى بُخْلِه، يَطْلُب أنصارًا يُساندونَهُ، كما يأنَسُ أهلُ الضَّلال برفقةِ أمثالِهم، فصاروا في إفسادِهم كإبليسَ؛ إذْ غَوى، فَصار مُغْوِيًا[2].

سِرُّ التَّعبير بقولِه: ﴿وَيَأۡمُرُونَ﴾ دون (يدعون) مادَّةً وصيغَةً:

إلـزامٌ في المنعِ ومبالغةٌ في القُبْحِ

اختيرَ لفظ الأمر في ﴿وَيَأۡمُرُونَ﴾ دون (يَدعون)؛ لأنَّ الأمْرَ ههنا أبلَغُ في بيانِ قُبْحِ صنيعِهم؛ لأنَّ الأمر يحملُ مَعْنى الإلزامِ والاستعلاءِ، بخلاف الدَّعوة التي تدلُّ على مطلقِ الطَّلبِ، ولو لم يكُن فيه إلزامٌ[3]، وفي اختيار الفِعْلِ المضارعِ إشارةٌ إلى استمرارِهم على الخُلُقِ القبيحِ، وهو حَمْلُهم النّاسَ على تركِ الجودِ وسلوكِ طريقِ البُخْلِ والشُّحِّ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالنّاسِ دونَ البشَرِ:

إبرازُ شُمولِ ذمِّ البُخْلِ وتأثيرِه الاجتماعيِّ

انتقى البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿ٱلنَّاسَ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾؛ لأنَّ (البشر) يختصُّ بالظُّهورِ والهيئة أو الخِلْقَة، ويختصُّ بالإنسِ مِن بني آدَمَ، أمّا ﴿ٱلنَّاسَ﴾؛ فَهو مشتقٌّ من النّوس، فهو لفظٌ يُشير إلى الجماعةِ المُتَحَرِّكة في المجتمع وتأثيرها الاجتماعيِّ[4]، وهو لفظٌ يشمَلُ الإنسَ والجنَّ جميعًا على المختارِ مِنْ قولَي أهل العلم، ومع كون الآيةِ تتناول أثَرَ البُخلاء الذين لا يَقْتَصِرون على مَنْعِ أنفُسِهم، بل يُحاوِلون جرَّ الآخرين إلى البخل، كان استعمال ﴿ٱلنَّاسَ﴾ دالًّا على شُمول ذمِّ فِعْلِهم، وتأثيرِه العَميق على الجماعةِ، لا مجرَّد وصْفِ حالٍ فرديٍّ أو هيئة ظاهريَّةٍ.

(1) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 473.
(2) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 14/ 784.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 231.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 101.

دلالَةُ (أل) في ﴿ٱلنَّاسَ﴾:

(أل) في لفظ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ دالَّةٌ على الاستغراق؛ إذ ليسَ أمرُهُم مقصورًا على فئةٍ مخصوصة، بل يتوجَّه إلى كلِّ مَن يَعْرِفونَهُ، ويُخالِطونَه[1]، فهُم لا يَرضَونَ لأنفُسِهم بالبُخْلِ فحسبُ، بل يَسعَونَ إلى إشاعةِ عَدْواهُ في أوسَعِ نطاقٍ، حتّى يشمَلَ المُجْتَمَع كلَّهُ.

إشاعَةُ البُخْلِ في كُلِّ الأنفاسِ، واستعلاءٌ في الأمر يَعُمُّ جميعَ النّاسِ

مَعنى الباءِ في قولِهِ: ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾:

الباءُ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ هي باءُ التَّعْدِيَةِ، وهي التي تَجْعَلُ الفِعْلَ متعدّيًا إلى مفعولِهِ الثّاني، والمعنى: يأمرون النّاسَ أن يَبْخَلوا، أي: يَجْعَلونَهُم مُتَلَبِّسينَ بالبُخْلِ مُقْتَرنينَ بِهِ، والباءُ هنا تفيد معنى الإلصاقِ أيضًا، وفي ذلك إشارَةٌ إلى شدَّة حِرْصِهِم على إلصاقِ هذه الخَصْلَةِ المذمومة بالنّاس، حتّى تصيرَ صفة لازمَةً لَهُم.

المبالَغَةُ في الأمرِ بالبُخْلِ، حتّى كأنَّهم يُلْصِقونَه بالنّاس إلصاقَ الدّاءِ

دلالَةُ التَّعبير بالبُخْلِ مُظْهرًا لا مُضْمرًا:

جاءَ التَّعبيرُ بلفظِ البُخل مظهَرًا في قول الله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾، دونَ الإضْمارِ بِـ (ويأمرون النّاسَ به)، تكشف عن قصدٍ قرآنيٍّ دقيقٍ؛ إذ يُراد الإشارةُ صراحَةً إلى أنَّ فِعْلَهُم هو أمرُ النّاسِ بالبخل، مع إظهارِ إخفائِهِم لِما أنعم اللّهُ تَعالى عليهِم مِن المالِ وسَعَةِ الحال، وفي هذا بيانٌ لأثَرِ الكُفْرِ وعلامَة على انحدارِ صاحبِها مِن وادي الإخلاص إلى وادي الكُفْر[2]، كما هو تنبيهٌ عَلى خُطورَةِ الكُفْران لنِعْمَةِ اللّهِ تَعالى.

بيانُ خطورةِ كُفْرانِ النِّعْمَةِ، والتَّحذير من إخفاء الفَضْلِ الإلهيِّ

دلالَةُ (أل) في ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾:

دخولُ (أل) على ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ دالٌّ على الاستغراقِ، أي: يأمُرونَهُم بالبُخْل مِن حيثُ هو خصلَةٌ مذمومَةٌ في عُمومِه، لا بنوعٍ خاصٍّ منه، ولا بواقعةٍ بعَيْنِها،

استغراقُ البُخْلِ، وتحريضُ النّاس على التَّلبُّس بالخصالِ المذمومةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 298.
(2) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 3/ 78.

فصار المعنى: يحثّون النّاسَ على التَّلبُّس بهذه الخصالِ المَمْجوجَةِ مطلقًا، وكأنَّهم يريدون إشاعة روح البُخْلِ بين النّاس جميعًا، حتّى يغدوَ البُخْلُ سجيَّة عامَّة لا تقتَصِرُ على بابٍ دون بابٍ.

سِرُّ الجَمْعِ بينَ البُخْلِ والأمرِ به:

مِنَ البُخْلِ الشَّخصيِّ إلى التَّأثير العامِّ

والجمع بين (البُخلِ) والأمر به يشير إلى أنَّ هؤلاء البخلاء يريدون أن يكون لهم أتباع ينفِّذون أعمالهم الخبيثة، ويحمون عنهم، أو أن يجعلوا من أفعالهم سببًا للتَّكبُّر والبطر فيما حازوه من المال؛ استدراجًا من الله لهم بأن يبخل الآخرون عليهم، فإذا رأوا ذلك المال ازداد بخلهم؛ فكانوا آمرين بالبخل؛ إذ صاروا أسبابًا له، والسَّبب في هذا السّياق كالآمر في إيجاد الشَّيء، يفعِّل أثره، ويضاعفه[1].

وفي الجَمْعِ بينَ البُخْلِ والأمر به أيضًا إشارةٌ إلى شرِّ البُخَلاء، فهم لا يَكْتَفون بمَنْعِ أنفُسِهم عن العطاء، بل يمتدُّ بُخْلُهم إلى النّاس، فهُم في ذلك جَمَعوا بين رَذيلَتَين، كلٌّ منهما كافٍ في الشَّرِّ، فالبخل منعٌ للحُقوق الواجبةِ، والأمر به دعوَةٌ لنَشْرِ هذا الخلُقِ الذَّميم، فلم يكتفوا ببُخْلِهم لأنفسهم، بل حثّوا النّاس عليه قولًا وفعلًا، وهذا كلُّه من شدَّةِ إعراضهم عن طاعة ربِّهم، وتولّيهم عنها[2].

بَلاغَةُ إيجازِ الحَذْفِ في الآية:

إبهامٌ يُصوِّرُ سوء عاقِبَتِهم

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ إيجازٌ بالحَذْفِ؛ إذ استغنى عن ذكر الخبَرِ صراحةً، فجَعَلَ بعضُ أهل العلم (هم) في موضع الرَّفعِ على الابتداء، والخبر محذوفٌ، ومعناه الوعيد والذَّمُّ، والحذفُ جاء على جهة الإبهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [الرعد: 31][3]، فيكون

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 298.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 842.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 268 - 269.

تقدير آية الحديد: الذين يبخلون، ويأمرون النّاس بالبُخْلِ مذمومونَ ومُتَوَعَّدونَ، وهذا يَجعل النَّفسَ تذهبُ كلَّ مذهبٍ في تصوُّر جزائِهم القبيحِ، وفي هذا الإبهامِ تهويلٌ لمآل أمرِهم وسوء عاقبَتِهم.

دلالَةُ التَّعبيرِ بالواوِ في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾:

إقـراضٌ حسَـنٌ يـورِثُ الرَّحْمَـة وبُـخْـلٌ مذمـومٌ يجلِبُ النِّقمة

الواوُ في ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عاطفةٌ على مقدَّرٍ، وذلك أنَّ قوله تعالى قبلُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ يقتضي كلامًا مقدَّرًا، وهو: "فمَن أقبَلَ على ما نُدِبَ إليهِ مِن الإقراض الحسَنِ والأمْرِ بالمَعْروف والنَّهي عن المُنْكَر؛ فإنَّ اللهَ شكورٌ حليم؛ عطَفَ عليه قولَهُ ذامًّا للبُخْلِ محذِّرًا منه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾"[1]؛ ليُظْهِر ثوابَ المُبادِرين إلى الخير، وعقابَ المُتَقاعِسين عن أداء حقوق اللّه تَعالى وحقوقِ النّاس، فتتجلّى بذلك الحكمةُ الإلهيَّة في الجَمْعِ بينَ المَدْحِ والذَّمِّ، ممّا يقوّي أثرَ الحثِّ والتَّحذيرِ.

استئنافٌ يكشِفُ غِنى الإلهِ، وتولِّ لا يَـنْـقُـصُ مِـن عُلاه

ويجوز في الواوِ من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أن تكون للاستئنافِ[2]، والجملةُ بعدها مستأنفةٌ تفيد أنَّ تولّيَهُم لا يضرُّ اللّه تَعالى شيئًا، فهو الغنيُّ عن خلقِه كلِّهم، المحمود في ذاتِه وصفاتِه.

دلالةُ حذْفِ متعلّقِ البُخْلِ في قوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾:

شمولُ الذَّمِّ كلَّ صوَرِ البخلِ

حُذِفَ متعلِّقُ البُخْلِ في قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾؛ ليعمَّ الذَّمُّ كلَّ صوَرِ البخل ومجالاته، فلا يُقيَّد بمالٍ أو علم أو معروفٍ مخصوصٍ، بل يشمَلُ كلَّ ما يُمْكِنُ أن يَبْخَل به الإنسانُ مِن خيرٍ، فكان الحذفُ أبلَغَ في التَّوبيخ والتَّقريع.

بلاغَةُ التَّذييل بجُمْلَةِ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

جملة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ تذييلٌ؛ إذ يشمَلُ مَن يتولّى مِن جَميع المُبْغِضين للخير، بمَن فيهِم البخلاءُ الذين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 298.

(2) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 473.

يأمرون النّاسَ بالبُخْل، فقد تولّوا عن طاعةِ اللّهِ تَعالى، وأهْمَلوا أداءَ الواجباتِ في سَبيلِهِ[1]، ويجوزُ أن يكونَ الغرَضُ مِن هذا التَّذييلِ ذمَّ هؤلاء البخلاء على بُخْلِهم[2]، وإظهارَ فَقْرِهِم، وضآلة شأنهِم أمامَ غِنى اللّه تَعالى.

التَّحذير من التَّولّي عن الحقِّ، وشمول الذَّمِّ كلَّ المُبْغِضين للخيرِ

بلاغةُ التَّعبير بالجملةِ الشَّرْطيَّة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

(مَنْ) اسْمُ شرطٍ جازمٌ في محلِّ رفعٍ مبتدأٌ، و﴿يَتَوَلَّ﴾ فعل الشَّرط، وعلامة جزمه حذف حرف العلَّة[3]، وفي التَّعبير بجملةِ الشَّرْطِ تهديد وإشعارٌ بأنَّ الأمر بالإنفاقِ إنَّما هي لمصلحة المُنْفِق نفسِه؛ إذ يعودُ ثوابُ نفَقَتِه إليه[4]، فيجمع بين الحثِّ على الخير، وتحذير المقصِّرين في آنٍ واحد.

في الأمرِ بالإنفاقِ نفعُ المُنْفِق، وتحذيرُ مَن أعرضَ عن الفَضلِ

دلالَةُ حَذْفِ متعلِّق التَّولّي في قوله: ﴿يَتَوَلَّ﴾:

حُذِفَ متعلِّق الفعلِ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، أي: من يتولَّ عن الإنفاق، ويشمَلُ ذلك أنواعًا كثيرة مِنَ الإنفاق، كإعالَةِ الأقاربِ، وصدقة الفطر، والكفّارات، والزَّكاة وغيرها[5]، فيدلُّ على شمولِ ذمِّ التَّهرُّب عن أداءِ الواجبات الماليَّة، والصَّدقات التَّطوّعيَّة على حدٍّ سواء.

شمولِيَّة ذمِّ التَّهرُّب من الواجباتِ الماليَّة، والامتناع عن الصَّدقات التَّطوّعيَّة

معنى الفاءِ في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ واقعةٌ في جواب الشَّرط[6]، والمقصودُ: بيانُ أنَّ تولّيَهُم لا يضرُّ اللّه تَعالى شيئًا، فهو الغنيُّ المحمودُ في ذاتِهِ وصفاته.

بيانُ غِنى اللهِ تَعالى عن خلقِهِ أجمعينَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 413.
(2) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 226.
(3) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 473.
(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 1303.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 470.
(6) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 530.

دلالةُ حَذْفِ جوابِ الشَّرط في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾:

بيانُ غِنَى الله سُبحانَهُ المطلقِ

حُذِفَ جوابُ الشَّرط في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، إلّا أنَّ جملة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ تقومُ مقامَ الجواب؛ إذْ تَحْمِلُ العلَّة الظّاهرة لعدَمِ تأثير تولّيهم، فالمعنى: ومن يتولَّ؛ فلا يضرُّ اللّهَ تَعالى شيئًا، ولا ينقص مِن حقِّ الفقير شيئًا، فالله تعالى غنيٌّ عن مالِ المُتولّين، وله عبادٌ مُطيعونَ يُسَبِّحونه، ويثنون عليه في كلِّ حالٍ، فيَحْمَدُهُم على ذلكَ[1].

سِرُّ التَّأكيد بـ (إنَّ):

توكيدٌ يقطَعُ التَّوهُّمَ، ويُثبِتُ الغِنى والحَمْدَ بلا تردُّد

(إنَّ) في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ حرف توكيدٍ ونَصْبٍ[2]، يُرادُ بها تقويةُ مضمونِ الجُمْلَةِ، وقطْعُ توهُّم خلافِه، ففيها تثبيتُ حقيقةِ غِنى اللّهِ تَعالى وحَمْدِه على وجهٍ لا يقبل الشَّكَّ، فجاء الأسلوبُ مؤكَّدًا يليقُ بمَقام الرَّدِّ على مَن يتولّى، ويظنُّ أنَّ إعراضَهُ مؤثِّرٌ في جانبِ اللّهِ تَعالى.

دلالَةُ التَّعْبير بالاسمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهَ﴾ مُظْهرًا دون إضْمارِه:

تفرُّدٌ في الغِنَى واستِحقاقٌ للحَمْدِ في السِّرِّ والجهرِ

جاءَ التَّعبير بالاسم الأحسَن ﴿ٱللَّهَ﴾ مُظْهَرًا في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾، بدلًا من الإضمارِ (فإنَّه) يحملُ دلالةً بلاغيَّةً جليلة؛ إذ هو تصريحٌ باسمِ اللّهِ سُبحانَهُ؛ لإبرازِ عظمَتِه وجَلاله، والتَّنويه بأنَّه المتفرِّدُ بالغِنى المُطْلَق والمستحقِّ للحَمْدِ على كلِّ حالٍ، فذكرُ الاسم الكريم هنا فيه دلالةٌ على العظمة والكبرياء اللائقَيْنِ بِجَلال المقام[3]، بخلافِ الضَّمير الذي لا يَنْهَضُ بهذا القَدْرِ مِنَ الإشعارِ والتَّفخيم.

بلاغَةُ التَّعبير بضميرِ الفَصْلِ ﴿هُوَ﴾:

عُبِّرَ بضمير الفَصْلِ ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 414.
(2) مجموعة مؤلفين، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2402.
(3) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 391.

للتَّأكيد على أنَّ الغِنَى لله تَعالى وحده[1]، فهو المُستَغْني عن جميع خلقه، المستحِقُّ للحَمْدِ في ذاته وصفاتِه، فضميرُ الفصْلِ مؤكِّدٌ للقصْرِ المستفادِ من تعريف جزأي الجملةِ.

تأكيدُ الغِنى المُطْلَق للهِ تَعالى وحدَهُ، واستِحْقاقه الحمدَ في ذاتِهِ وصفاتِهِ

بلاغَةُ القَصْرِ في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

في قول اللهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أسلوبُ قصرٍ، وذلك بطريقِ تعريفِ جُزْأي الجُملةِ، فالمسنَدُ إليه ﴿ٱللَّهَ﴾ أعرف المعارفِ، والمسنَدُ ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ و﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ معرَّفانِ بـ (أل)، أو بكونهما عَلَمَيْنِ على اللهِ سُبحانَهُ، فدلَّ ذلك على القصْرِ؛ للدَّلالةِ على اختصاصِ اللهِ تَعالى بالغِنى والمحموديَّةِ وحدَهُ، وهو رافعٌ عن ذاته أيَّ شريكٍ أو مَثيل، ومُؤكِّدٌ لتمام صفاتِه وعظَمَتِه.

غِنى اللهِ تَعالى وحَمْدُه المطلقانِ خاصّانِ بِهِ

أثَرُ تعدُّدِ القِراءات في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

قرأ نافعٌ وابن عامرٍ وأبو جَعفر قولَ اللهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، مِنْ غير ﴿هُوَ﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، وقرأ الباقون بإثباتِ ﴿هُوَ﴾[2]، فمَن أثبت ﴿هُوَ﴾ كان ذلك فصلًا بين المسنَدِ والمسند إليه، وكان تقويةً للقصْرِ وتأكيدًا له، ومن حذَفَ؛ فإنَّ القصرَ مستفادٌ من تعريفِ الجزأينِ، والتَّوكيدَ من (إنَّ)، وإثباتُها وحذفها راجِعٌ إلى اختلاف مصاحفِ الأمصار، فإنَّ مصحف المدينَةِ والشّامِ بغير (هو)، ومصاحف الباقينِ بإثباتِها[3].

فَضْلٌ يُغْلي التَّوكيدَ والبيانَ، وحذفٌ لا يُنْقِصُ مِنَ المَعْنى المرادِ

دلالَةُ استِعمالِ وصْفِ الغَنيِّ في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾:

استُعمِل وصفُ الغِنَى في اسم الله تعالى ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾، مِن قولهِ سُبحانَهُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾؛ للدَّلالةِ على كمال استقلالِهِ عَن عِبادِهِ وعَمّا دعاهُم إليه، بل هو الغَنيُّ بذاتِه[4].

غِنًى ذاتيٌّ عنِ العبادِ جميعِهم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 298.
(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 384.
(3) الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص: 112.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 534.

وفي وصف ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ تهديد ضمنيٌّ بأنَّ البُخْلَ لا يضرُّ الله تعالى؛ إذ هو الغنيُّ الغِنَى المُطْلق[1]، وإنَّما يعودُ ضرَرُ البخل على البخيلِ نفسِه، فالأمر بالإنفاقِ لمَصْلحة المنفِق لا لحاجةٍ منهُ ﷻ، فغناه ذاتيٌّ لا يتأثَّر بعطاءٍ أو مَنْعٍ.

تعريضٌ بمَن أعْرَضَ عَنِ الإنفاقِ

وفي وصفِ ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ أيضًا تعريضٌ بالمُعْرِض عن الإنفاقِ، وتأكيدٌ أنَّ اللهَ تَعالى غنيٌّ بذاتِه، لا يحتاج إلى ما في أيدي الخَلْق[2]، وإنَّما الحاجَةُ للمُنْفِق، ففي الإنفاقِ صَلاحُه، وزكاةُ نفسِه، ونيلُ رِضْوانِ ربِّه.

سِرُّ عدَمِ ذِكْرِ متعلَّق ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾:

الإشارَةُ إلى الغِنى المُطْلَق عَن كُلِّ شيءٍ وفي كلِّ حالٍ

﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ هو الموصوفُ بالغِنى، وهوَ عدمُ الاحتياج، وغِناهُ ذاتيٌّ لا يَفْتَقِر إلى سببٍ، ولا يتعلَّق بغيرِه، ولمّا لم يُذْكَر لَهُ متعلَّقٌ؛ أفادَ الغِنى العامَّ[3]، فهو الغنيُّ عَن كلِّ شيء، وفي كلِّ حال، وهو الكامِلُ في استِغنائِه عَنِ الخَلْقِ جميعًا.

دلالَةُ التَّعبير بوصفِ ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ على وزْنِ (فَعيل):

الحميدُ في ذاتِهِ، المَحْمودُ قبلَ حَمْدِ العبادِ إيّاه

جاءَ التَّعبيرُ بوَصْفِ ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ على وزْنِ (فَعيل)؛ للكَشْفِ عَن كمالِ استِحْقاقِه الحَمْدَ؛ إذ هو المستحقُّ للحَمْدِ دائمًا، سواءٌ أمَدَحَهُ الحامِدون أم لم يَمْدَحوهُ، فالحمدُ لَهُ ثابتٌ في ذاته لا يتوقَّفُ على حَمْدِ العبادِ لَهُ، ووصفُ اللهِ تعالى بـ ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ - وهو وصف مبالغةٍ - يدلُّ على كثرةِ الحَمْدِ.

سِرُّ تقديمِ ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ على ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾:

غنيٌّ مُعطٍ، فاستَحَقَّ الحَمْدَ؛ إذ هو الجامِع بين الكمالِ والجودِ والمَجْدِ

قُدِّم الغِنى على الحَمْدِ؛ لأنَّ اللهَ سُبْحانه غنيٌّ عَن عبادِه وعَن عبادَتِهم، ومع ذلك يُغْدِقُ عليهم مِن مُلْكِه، فيستَحِقُّ الحَمْدَ، ويُحْمَدُ

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 153.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 469.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 414.

للأسبابِ الكثيرَةِ[1]، فلمّا كان غنيًّا مُعطيًا؛ صار بذلك حميدًا محمودًا، جامعًا بين الغِنى الكامل، والاستحقاقِ الدّائم للحَمْدِ.

وهذا التَّقديم أيضًا ملائمٌ للسّياقِ؛ إذ السّياقُ في ذمِّ البُخْلِ والتَّولّي عن الإنفاقِ، فكانَ لا بدَّ أوَّلًا من تقريرِ غناهُ المطلق الذي يُغني عن طاعةِ العبادِ وأموالهم، فلا ينالُه من بُخْلِهم نقصٌ، ولا من عطائهم زيادَةٌ.

بيانُ غِنى الله تَعالى المطلَق قبلَ بيانِ استِحقاقِهِ الحَمْدَ تناسبًا مع سياقِ ذَمِّ البُخْلِ

غنيٌّ لا تنفَدُ خزائِنُهُ، ولا ينقطِعُ عطاؤُهُ وكرمُهُ

دلالَةُ الجَمْعِ بين اسمي الله تعالى: الغنيّ والحميدِ:

في الجمع بين الاسمينِ الكريمَيْنِ ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ إشارةٌ بليغَةٌ إلى أنَّه سُبحانَهُ المُسْتَحِقُّ للحمدِ وحدَه على السَّرّاء والضَّرّاء، وعلى الغنى والفَقْر، فهو الغنيُّ الذي لا تَنْفَدُ خَزائِنُه، ولا يتوقَّفُ عطاؤُهُ وجودُهُ، ولَم يحرِم فقيرًا إلّا بحكمةٍ وتقديرٍ، وما كان من حكمته وتقديره؛ فلا يقبلُهُ المُؤْمِن إلّا بالحمد والرِّضا[2]؛ اعترافًا بكمالِ عِلْمِه وعَدْلِه وإحْسانِه.

دلالَةُ تعريفِ الوَصفَيْنِ ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

الغنيُّ عن العالمينَ، والحميدُ في كلِّ حينٍ، الجامع بينَ الكمالِ والإحسانِ المُبينِ

عُرِّف الاسمان الكريمانِ ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ للإفصاحِ عَن كمال الغِنى والاستحقاقِ المُطْلَق للحَمْدِ، فهو الغنيُّ عن العالمين، المُغْني عبادَهُ كلَّ الغِنى، وهوَ الحميدُ الذي يَسْتَحِقُّ الحمدَ كلَّهُ على ما أنعَمَ، وخَلَقَ، وأحْسَنَ، في السَّرّاء والضَّرّاء، في الدُّنيا والآخرة، لحِكْمَتِه وأفعالِه وصفاتِه، وفَضْلِه وإحسانِه وشَرْعِه وأحْكامِه ورَحْمَتِه[3]، جامعًا بذلكَ بينَ الغِنى المُطْلَق مع الاستحقاقِ الكامل للحَمْدِ.

فائدَةُ ذِكْرِ وصْفِ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾:

في ذكر ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ فائدةٌ جليلةٌ، وكأنَّه واردٌ جوابًا عن سؤالٍ؛ إذ

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 11/ 355.
(2) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 14/ 785.
(3) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 11/ 355.

يُقال: لَمّا كان اللّهُ تعالى عليمًا بأنَّه قد يَبْخَل بذلك المال، ولا يَصْرِفه إلى وجوه الطّاعات، فلِمَ أعطاه ذلك المال؟ فالإجابة: إنَّه تعالى حميدٌ في إعْطائِه، مستحقٌّ للحَمْدِ؛ إذ فتحَ لعباده أبوابَ رحمَتِه ونعمته، فإذا قَصَّر العبدُ في الطّاعة؛ فإنَّ وبالَهُ يعودُ إليه[1].

عطاءٌ محمودٌ من غنيٍّ كريمٍ، وتقصير العبدِ مردودٌ عليهِ بالتَّأثيم

بلاغةُ الاتِّفاق والاختلافِ بينَ آية الحديدِ وآية النِّساء:

قول اللّهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ [النساء: 37]، وقال سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

صورةٌ قرآنيَّةٌ جامعَةٌ لغُرورِ النَّفْس في العبادَةِ والنِّعْمَة، وذمٌّ لمن يمنَعُ الخَيْرَ، ويَهْدِمُ التَّواضُعَ

ففي سورة النّساء أمرهم بالعبادة وترك الشِّرك في قوله: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: 36]، وأخبرهم أنَّهم عبيدٌ، والعبد لا يَحْسُن منه الاختيال والفخر؛ لأنَّ الرِّقَّ والذُّلَّ يخالِفانِه، فجاء قولهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: 36]، وأعْقَبها بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء: 37]؛ لأنَّه بعدَ العبادَةِ أمَرَهُم بالإحسان للوالدين وإعطاءِ ذي القربى واليتامى والمساكين، فبيَّنَ أنَّ الله تعالى لا يُحِبُّ العبد المختال الفخور البخيلَ، وأمّا في سورة الحديدِ؛ فقد جاءَ بعدَ نَهْيِه عنْ تمكينِ الحُزْنِ والأسى على ما يفوتُ مِن أحوال الدُّنيا، فذَمَّ الإفراطَ في الجزَعِ عندَ المُصيبة والفَجيعة، والغلوَّ في الفرح، والمرح عند العطيَّة، وكثرة السَّعة حتّى يخرج عن التَّواضع بما يحولُ إلى الكبرياء، فيَبطر، ويَمْرَح، ويفخر، بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾، ثمَّ عقَّبها بقوله سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾؛ لأنَّه تقدَّمَهُ قولُه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾، فكأنَّه حثَّهُم على الصَّدقة، وإقراض اللّهِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 469.

تَعالى، فإنَّ مَن لَم يَفْعَل ذلكَ؛ يكون بخيلًا، واللّه لا يحبُّ البخيلَ[1]، وتعريضًا بالمكذِّبين[2] الّذين نُزِعَ عنهم هذا الوسامُ الرَّفيع، فكأنَّ الخطابَ يَسِمُ المؤمنين بوسامِ الصِّدّيقيَّة في صَدْرِ الحقيقةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البخل والشُّحِّ:

في الشُّحِّ معنى الحِرْصِ وكونِه عادةً متأصِّلة في النَّفس

البُخْلُ في أصلِ اللُّغة: نقيضُ الكرَم، وحقيقَتُه: إمساكُ المالِ والمُقْتَنيات عمّا لا يحقُّ حَبسُها عنه، وأمّا الشُّحُّ؛ فهو أشدُّ البُخْلِ، وفيه دلالةٌ على الحِرْص، وهو يعُمُّ المال والمعروفَ، كما أنَّه طبيعةٌ متأصِّلة ثابتَةٌ في نَفْسِ الشَّحيح.

وقد ورد ذِكْرُ البُخْلِ ومشتقّاته في القرآن الكريم، منها قول اللّه سُبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: 180]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: 37]، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ [محمد: 38].

وقد اقترنَ البُخْلُ في الاستعمالِ القُرآنيِّ بالمال، فهو حَبْسُ المال دونَ غيرِه مِنَ الخَيْر والمعروف، وممّا يُؤَكِّد اختصاصَ البُخْلِ بمَنْع المال خاصَّة عن مستحقّيه قولُ اللّه تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [محمد: 36 - 37].

وأمّا الشُّحُّ؛ فقَد وردَ في القرآن الكريم خَمْسَ مرّات، منها قولُ اللّه تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: 128]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن

(1) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل: 1/ 252 - 254.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 249.

﴿يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: 9]، والآياتُ الواردة في الشُّحِّ تدلُّ على أنَّ الشُّحَّ طبعٌ متأصِّل في النَّفس، وفيه حرصُ النَّفس على الحقوق وقلَّة التَّسامح فيها، كما تَحْتَمِلُ لفظةُ (الشُّحِّ) البخلَ بالمال، وعدمَ التَّسامح في الحقوقِ الأُخْرى مِن غير المالِ.

والحاصلُ أن البُخْلَ والشُّحَّ يشتركان في أصلِ المَنْع والحبس، إلّا أنَّ الشُّحَّ يمتاز بالشِّدَّة والحرص، وكونه عادةً وطَبْعًا متأصِّلًا في النُّفوس، وهو يشمَلُ المالَ وغيرَه مِن الخَيْر والمعروفِ[1].

التَّولّي والإعراض:

التَّولّي أقبَحُ مِنَ الإعراضِ وأشْنَعُ

الأصلُ في الواو واللّام والحرفِ المعتلِّ دلالَتُه على القُرْب، وقد يكونُ بِمَعْنى الإعراضِ والصُّدوف، وتَرْكِ القُرْب، وقد يكون بالجِسْم أو بالمعنى، بتَرْكِ الائتمارِ والإصْغاءِ، وتولّى بمعنى: ذهب، ونأى عنهُ[2]، فالتّولّي يدلُّ على إحداثِ تكلُّفٍ في الانصراف؛ لِما في صيغة التَّفعُّل من التَّكلُّف، أي: إنَّ الإنسانَ يُجْهِدُ نفسَه ليولّي وجهَه عنِ الحقِّ، مخالفًا ما جُبِلَت عليه فِطرتُه من محبَّة الخير، والإقبال على اللّه تَعالى[3]، بينَما الإعراضُ فهو دالٌّ على مُطْلَقِ الانصرافِ، بلا ذلك التَّكلُّف والمقاومة.

(1) محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 105 - 107.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (ولى - ولي).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 298.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"